

دلائل الإعجاز

(ولكنّا يا أمّ عمرٍو نديمُنا ... بمنزلة الرّيانِ ليسَ بعائِمِ) .

أسّـركَ . . . البيتِين .

فإِذا رُبَّ هَزَلٍ أَدَاةٌ فِي جَرْدٍ ۖ وَكَلَامٍ جَرَى فِي بَاطِلٍ ثُمَّ اسْتُعِينَ بِهِ عَلَى حَقٍّ ۖ كَمَا أَنَّهُ رُبَّ شَيْءٍ خَسِيسٍ تُؤْمَصُّ لَـ بِهِ إِلَى شَرِيفٍ بِأَنَّهُ رُبَّ مَثَلٍ فِيهِ وَجُعِلَ مَثَلًا لَهُ .
كما قال أبو تمام - الكامل - : .

(وَاللّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَّ لِنُورِهِ ... مَثَلًا مِنْ الْمَشْكَاةِ وَالذَّبَّاسِ) .
وعلى العكس فربّ كلمةٍ حقٍّ أَرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ فَاسْتَحَقَّ عَلَيْهَا الذَّمَّ ۖ كَمَا عَرَفْتَ مِنْ خَبَرِ الْخَارِجِيِّ ۖ مَعَ عَلِيٍّ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ . وَرَبَّ قَوْلٍ حَسَنٍ لَمْ يَحْسُنْ مِنْ قَائِلِهِ
حِينَ تَسَبَّبَ بِهِ إِلَى قَبِيحٍ كَالَّذِي حَكَى الْجَاحِظُ قَالَ رَجَعَ طَاوُوسٌ يَوْمًا عَنْ مَجْلِسِ مُحَمَّدِ بْنِ يَوْسُفَ وَهُوَ يَوْمئِذٍ وَالِي الْيَمَنِ فَقَالَ مَا ظَنَنْتُ أَنَّ قَوْلَ " سُبْحَانَ اللَّهِ " يَكُونُ
مَعْصِيَةً ۖ حَتَّى كَانَ الْيَوْمُ سَمِعْتُ رَجُلًا أَبْلَغَ ابْنَ يَوْسُفَ عَنْ رَجُلٍ كَلَامًا فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ
أَهْلِ الْمَجْلِسِ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! كَالْمُسْتَغْطَمِ لَذَلِكَ الْكَلَامِ لِيُغْضِبَ ابْنَ يَوْسُفَ .
فبهذا ونحوه فاعتبر واجعله حُكْمًا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الشَّعْرِ .

وبعد فكيف وضع من الشعر عندك وكسبه المَقْتِ منك أنّك وجدت فيه الباطل
والكذب وبعض ما لا يحسن ولم يرفعوه في نفسك ولم يُوجِبْ لَهُ المحبّة من قلبك
أنّ كان فيه الحقّ والصّدق والحكمة وفصل الخطاب وأن كان مَجْنُونِ ثَمَرَ العقول
والألباب ومُجْتَمَعِ فِرْقِ الْآدَابِ وَالَّذِي قَدَّ عَلَى النَّاسِ الْمَعَانِي الشَّرِيفَةَ
وَأَفَادَهُمُ الْفَوَائِدَ الْجَلِيلَةَ